

العلاقة بين منهج البحث وطريقة البحث في ميدان الانثروبولوجيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية الآداب- قسم الانثروبولوجيا التطبيقية

العلاقة بين منهج البحث وطريقة البحث في ميدان الانثروبولوجيا

م. مشـحـن زيد محمد
التميمي

ملخص باللغة العربية

هناك فرق بين المنهج الانثروبولوجي والطريقة الانثروبولوجية، فاذا كان منهج البحث الانثروبولوجي هو جملة الخطوات أو الأساليب التي يعتمد عليها الباحث أثناء القيام ببحث علمي، ويكون هدفه في النهاية هو الوصول إلى نظرية أو قانون أو تعميم، فإن الطريقة الانثروبولوجية تعني تطبيق قواعد المنهج الذي تم اختياره أثناء القيام بدراسة مجتمع ما.

وإذا كانت مناهج البحث Methodologie، تعني عدة نهج متباينة السبل في استقصاء ودراسة الواقع، أي عدم اقتصرها على جمع المعلومات والبيانات فقط خالية من الاحتمالات والتحليل، والبرهنة والتفسير الذهنية المجردة.

ونظراً لصعوبة التقييد بالموضوعية، في مجال العلوم الإنسانية، فغالباً ما ينساق الباحث دون شعور منه لأن يتحيز لايديولوجيته، أو إحكامه الشخصية، أو ينحاز في دراسته لسلالة دون سلالة أخرى ونظراً لهذا الأشكال الذي يقلل من قيمة النتائج المتوصل إليها أثناء إجراء الأبحاث والدراسات، فقد حاول العديد من الانثروبولوجيين ان يضعوا جملة من الضوابط رغبة منهم من اجل الوصول إلى تقنيين المنهج أثناء القيام بالدراسة الميدانية، وللقضاء على مشاكل البحث المطروحة في مجال الأبحاث الإنسانية والاجتماعية، انتهج الانثروبولوجيون عدة طرق علمية موضوعية، من اجل التوصل إلى نتائج علمية سليمة

Abstract

There is a difference between anthropological approach and the way alanthrbologet, if anthropologists research approach is among the steps or methods adopted by the researcher during the research, with the objective of ultimately reaching theory or act or generalization, the way alanthrbologet means to apply the chosen curriculum rules during a study of a society.

If the research methods Methodolgie, mean different ways several approaches in survey and study of reality, i.e. not limited to gathering information and data only-free probability and analysis, and demonstrate and abstract mental interpretations.

Given the difficulty of limiting the objectivity, in the humanities, they often indulge without feeling from researcher to that one-sided ideology, or its profile, or biased in his study to breed without other breed given that that reduces the value of the results obtained during research studies, many have tried the anthropologist to develop much checks desire for technical access curriculum during a field study, to eliminate the problems of research in the area of humanitarian and social research, the anthropologist pursued several scientific methods Objectively, for sound scientific results

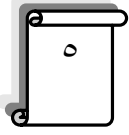
المقدمة

لقد كان لتعدد اهتمامات وموضوعات الدراسة والبحث الانثروبولوجي، تفرع وتعدد أقسام الانثروبولوجيا، فهناك قسم يهتم بالدراسات الفيزيكية ومنها ما تعلق بالدراسات الاجتماعية والثقافية، وهناك فرع اهتم بدراسة اللغات، والآداب، واللهجات، وفرع كان موضوع دراسته الشخصية والجوانب النفسية، وضلت الانثروبولوجيا تتفرع، حتى صارت تتضمن فروع تركز مجال اهتمامها على دراسة شؤون الحياة المعاصرة، كالانثروبولوجيا الحضارية مثلاً.

وانطلاقاً مما سبق أصبح من الطبيعي ان يستخدم المتخصصون والباحثون في مجال الانثروبولوجيا مناهج متعددة، منها ما هو مشترك مع بعض فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، ومنها ما هو خاص بعلم الانثروبولوجي، وكمثال على ذلك انفراد الانثروبولوجيا الفيزيكية بمنهج القياس الانثروبولوجي (الانثروبومتري) وقد كان تطور المنهج في الانثروبولوجيا مصاحباً لتطور الفكر الانثروبولوجي، وكان تفسير الحقائق الانثروبولوجية قائم على أساس ترابطها وتداخلها ببعضها ببعض، وهذا الذي ميز مناهج البحث الانثروبولوجي عن مناهج البحث في العلوم الطبيعية، وبعض فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية.

ونظراً لتعدد موضوعات البحث الانثروبولوجية، من دراسة تطور الإنسان من الناحية الفيزيكية، ودراسة البناء الاجتماعي، والحياة الثقافية، وما يتولد عنه من انجازات تصب في مجرى الحضارة الإنسانية عموماً، وتعدد هذه الموضوعات البحثية، تعددت مناهج البحث الانثروبولوجي.

وإذا أردنا ان نقوم بشرح ما يعنيه مصطلح منهج البحث الانثروبولوجي، فيمكننا ان نقول ان مناهج البحث الانثروبولوجي هي الأساليب المنهجية العامة التي يعتمد عليها الباحث إنشاء انجاز بحثه، من اجل التوصل في الأخير إلى نظرية أو قانون، وبالمقابل اذا أردنا تعريف طريقة البحث الانثروبولوجي، أو الطريقة



العلاقة بين منهج البحث وطريقة البحث في ميدان الانثروبولوجيا

الانثروبولوجية، لدراسة المجتمع، فيمكننا القول انها تعني تطبيق قواعد المنهج نفسه في دراسة مجتمع ما دراسة انثروبولوجية، ولكن يشترط تحديد زمان ومكان الدراسة. وإذا كانت مناهج البحث الانثروبولوجي متعددة، فان الطرق الانثروبولوجية التي يستخدمها الباحث الانثروبولوجي، لجمع المادة والمعلومات الاثنوغرافية من الميدان متعددة كذلك، نذكر منها طريقة الملاحظة بالمشاركة، وطريقة المقابلة الموجهة، وطريقة المقابلة غير الموجهة، الملاحظة المباشرة، المعيشة، الاوتوبيوغرافي، وطريقة المقارنة، وطريقة دراسة الحالة وتاريخ الحياة، كما أصبح الفيلم الاثنوغرافي طريقة رئيسية ومهمة من طرق التعبير، ووجد فيه بعض الانثروبولوجيين أداة جديدة لعرض نتائج بحوثهم الميدانية، وغيرها من طرق البحث الانثروبولوجي.

وتفادياً للمشاكل المطروحة عند دراسة الظواهر الإنسانية، فان علماء الانثروبولوجيا قاموا بتقنين وضبط منهج البحث، وكذلك تحديد قواعد وضوابط الدراسة الميدانية، كما اعتمدوا كذلك على طرق علمية موضوعية متعددة، سعياً منهم للوصول إلى نتائج علمية صحيحة في دراساتهم.

غير ان السؤال الرئيسي والهام الذي يطرح، ما هي العلاقة بين مناهج البحث الانثروبولوجية، والطريقة الانثروبولوجية لدراسة المجتمع؟ هل هي علاقة تكاملية ضرورية لا انفصال بينهما؟ ام هي علاقة تضاد لا تساند بينهما؟ هذا الذي سنقوم ببحثه وتبيينه، والسعي لتقديم إجابة له من خلال هذا البحث.

المبحث الأول مفهوم منهج البحث

لقد شاعت كلمة "منهج" أو "مناهج" في العلم الحديث، وكانت أكثر شيوعاً، في مجال العلوم الاجتماعية خاصة، علم الاجتماع والانثروبولوجيا، وحسب العديد من العلماء والمفكرين، فإن كلمة منهج هي وليدة المباحث والميادين المنطقية، حيث يقول في هذا المجال العالم الفرنسي "لاند" ان مناهج العلوم أو Methodologie تعد جزءاً هاماً من أجزاء المنطق، وميداناً أساسياً من ميادينه^(١).

وكانت فكرة المنهج "Methode" بالمعنى الاصطلاحي، قد أطلقت بداية من القرن السابع عشر على يد "فرانسيس بيكون" ثم وافقه العديد من العلماء وصار الاهتمام أكثر بالمنهج التجريبي، ومن ثمة أصبح معنى كلمة "المنهج" هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته حتى يصل إلى نتيجة معلومة^(٢).

١. منهج البحث الانثروبولوجي

لقد تعددت مناهج البحث التي تستخدمها الانثروبولوجيا انطلاقاً من تعدد فروعها، فهي تعتمد على المنهج التجريبي و "الانثربومتري" أو منهج القياس الانثروبولوجي، في مجال الانثروبولوجيا الفيزيائية، وهناك بعض المناهج العامة التي تشترك فيها الانثروبولوجيا مع فروع عديدة من العلوم الإنسانية، والعلوم الاجتماعية، لاسيما في مجال الدراسات الاجتماعية والثقافية، حيث يحصل الاشتراك بين الباحث الانثروبولوجي والباحث في علم الاجتماع أو النفس أو علم السياسة، أو الاقتصاد في استخدام مناهج عامة.

ان الاعتماد على مناهج البحث عند انجاز الأبحاث والدراسات الأكاديمية جدا ضروري ذلك ان المنهج هو الموجه والمرشد للخطوات والمراحل التي يقوم بها

الباحث عندما يحاول الربط بين ما تحصل عليه من بيانات ومعطيات من الواقع، وبين النظرية التي تعبر عن طريقة الباحث في فهم هذا الواقع.

ان الدراسات الانثروبولوجية تمتاز بترابطها وتكاملها من ناحية، وبنظرتها الشاملة من ناحية أخرى، وذلك من خلال ارتباط الظواهر الاجتماعية بالبيئة الاجتماعية، والمجال الايكولوجي، وهذا الذي يجعل تفسير الحقائق الانثروبولوجية قائماً على ترابطها وتشابكها، وهذا الذي يميز المناهج الانثروبولوجية عن غيرها من مناهج العلوم الأخرى، سواء كانت طبيعية أو اجتماعية، وكانت مناهج البحث الانثروبولوجية قد تطورت مصاحبة للتطور التاريخي الذي مرت به الانثروبولوجيا كعلم، وكانت الانثروبولوجيا قد بدأت من خلال بحوث مونوغرافية، ثم حصل تطور وصارت تعتمد على البحوث المقارنة، هذه الأخيرة كانت قائمة على أسس علمية حتى أصبحت الانثروبولوجيا تستخدم المناهج الإحصائية والقياسات العلمية.

لقد شهدت الانثروبولوجيا كعلم تحول وتطور كبير في المناهج، والنظريات وطرائق البحث خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح أسلوب الدراسة العقلية نقطة انطلاق لعملية نقدية جديدة وكان النقد في اقله موجه إلى الطريقة التقليدية في البحث الميداني، هذه الأخيرة كان مسموح فيها أحياناً للباحث بدراسة الوقائع الانثروبولوجية بصورة تغلب عليها رؤيته الخاصة، التي لا تخلو من التأثير بقيمه ومعتقداته ولغته واتجاهاته على رؤية الأهالي ذاتهم وهذا أسلوب من شأنه إنتاج المؤلفات الضخمة دون ان يؤدي إلى تعميق الفهم^(٣).

ويذكر احمد ابو زيد ان الانثروبولوجيا في الخارج - ويقصد العالم الغربي - تغيرت تغيراً جذرياً، وهي تركز على موضوعات الساعة، فالانثروبولوجيا هي منهج يطبق على الكثير من مشكلات البحث، لم يكن يتعرض لها الانثروبولوجيون السابقون^(٤).

ان المتتبع لتاريخ الفكر الانثروبولوجي يجد تنوع واختلاف مناهج البحث وتعددتها وهذا راجع إلى أسباب متعددة، منها اختلاف اهتمامات الباحثين في ميدان الانثروبولوجيا، وقبله المراحل التاريخية لتطور الانثروبولوجيا، والعمل على تحديد

موضوعها، واهم الغايات العلمية المرجوة من وراء دراسة هذا العلم، إضافة إلى تأثير الفكر السوسيولوجي الانثروبولوجي بالتيارات الفكرية الكبرى من مرحلة زمنية إلى أخرى.

وقد كان لإسهامات عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كايم في معالجة الظواهر الاجتماعية في ضوء المنهج العلمي، اثر كبير عند الانثروبولوجيين، وكان سببا في إثارة العديد من القضايا في الفكر الانثروبولوجي، وكان ابرز من تأثر بالمنهج الدور كايمي العالم البريطاني راد كليف براون، حيث عمل هذا الأخير على إكساب الانثروبولوجيا الاجتماعية خصائص العلم الطبيعي، فكان ينظر للأنساق الاجتماعية على انها انساق طبيعية ولا جدوى من معرفة تاريخ نشأة هذه الأنساق وتشكلها وتطورها. وفيما يلي عرض لمناهج كبرى في مجال الانثروبولوجيا.

١. الانثروبولوجيا والمنهج الطبيعي:

لقد نظر راد كليف براون إلى علم الاجتماع على انه علم طبيعي، وافر على ان المجتمع عبارة عن نسق طبيعي وبالتالي فهو خاضع ومسير بمجموعة من القوانين، والهدف المرجو من إجراء الدراسات والأبحاث حول المجتمع هو التوصل إلى كشف وصياغة هذه القوانين.

وقال راد كليف براون إن الأنساق الاجتماعية هي انساق طبيعية، وبالتالي فطبيعة المنهج الملائم لدراستها هو المنهج الطبيعي، على اعتبار ان نسق المفاهيم يحدد معنى البناء الاجتماعي، والوظيفة الاجتماعية، ويرى الكثير من العلماء والمفكرين ان ما يناسب الانثروبولوجيا كعلم هو المنهج الطبيعي، وقد كان تطبيق المنهج الطبيعي ناجح في الانثروبولوجيا الفيزيائية، التي اهتمت بدراسة الجانب الفيزيقي للإنسان، كالهياكل العظمية، حجم الجمجمة، والقياسات الأخرى المختلفة، واعتمد الباحثون في ذلك على الحفريات، وإجراء التجارب على البقايا المادية التي خلفها الإنسان، اما الانثروبولوجيا الاجتماعية فقد يقول البعض انها لا يمكن ان تكون تجريبية، غير انها تشترك مع بعض فروع العلوم الطبيعية.

وتذكر بعض الدراسات ان راد كليف براون يرى: ان المنهج التجريبي هو المنهج العلمي الوحيد الذي يمكن عن طريق استخدامه التوصل إلى التعميمات الاستقرائية، كما ان الملاحظة التجريبية هي الملاحظة الموجهة ببعض التطورات العامة، وبذلك يمكن التوصل إلى التعميمات الاستقرائية التي يستقرؤها الباحث من المشاهدة التجريبية المنظمة والتي تصدق على عدد معين من الظواهر الاجتماعية على اعتبار انها تمثل نوعاً خاصاً من الظواهر الطبيعية، التي تسير وفق قانون الطبيعة. ويقصد راد كليف براون بتطبيق المنهج التجريبي على الظواهر الإنسانية هو التوصل إلى اكتشاف القانون الذي تخضع له الظاهرة، على اعتبار إنها إحدى الحالات الجزئية، وتقضي خطوات المنهج العلمي ان تستند إلى وضع الفروض، ولذلك استخدم راد كليف براون في بحوثه الانثروبولوجية الفروض في توجيه هذه البحوث، ويعرف هذا الأمر بمنهج الفرض الاستنتاجي، ويستند هذا المنهج على فرض بعض الفروض العلمية باعتبارها قضايا أولية مستنبطة على أساس منطقي نظري، أو من خلال المشاهدات العينية التي يقوم بها الباحث في الحقل الاجتماعي^(٥).

مع ضرورة الإشارة إلى ان راد كليف براون قد أكد على عملية الانثروبولوجيا الاجتماعية ورأى ضرورة التمييز بين القوانين الطبيعية، والقوانين الاجتماعية، ذلك ان هذه الأخيرة هي قوانين من نوع خاص.

وإذا كان راد كليف براون قد اقر بعملية الانثروبولوجيا الاجتماعية، فهناك من عارضة من العلماء، ورأى ان الانثروبولوجيا الاجتماعية ما هي الا فرع من فروع الدراسات الإنسانية، ومن بين هؤلاء العلماء نجد ايفانز بريتشارد الذي قال ان الانثروبولوجيا الاجتماعية ان نظرنا إليها من زاوية موضوع دراستها، فنجد أولاً من ناحية الموضوع ان الانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس المجتمع الإنساني وتتنظر إليه على انه مؤلف من انساق رمزية، وأخلاقية، وبالتالي فهي ليست انساق طبيعية، وهذا يؤدي بنا إلى استنتاج مفاده ان الانثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالكشف عن الأنماط

والأنساق السائدة، لا التوصل إلى قوانين طبيعية، ويمكننا الاستفادة من نتائج الدراسات الانثروبولوجية الاجتماعية في مجال التخطيط.

ويرى ايفانز بريتشارد ان وجهة نظر راد كليف براون باعتبار الانثروبولوجيا الاجتماعية علم يخضع للمنهج العلمي الطبيعي، نشأت من تأثره بالفكرة السائدة في القرن الثامن عشر، التي كانت تنظر للمجتمعات الإنسانية على انها انساق طبيعية، وافر بريتشارد على ان الانثروبولوجيا هي إحدى فروع الإنسانيات، وحدد الشروط والضوابط التي يجب ان يتصف بها الباحث الانثروبولوجي عند القيام بدراسة المجتمعات الإنسانية، ولعل من ابرز هذه الشروط هو ان يكون الباحث قادراً على التفاعل مع مجتمع البحث، وان يشعر كذلك الباحث بالاهتمام والانعطاف إزاء موضوع الدراسة^(٦).

ان تطبيق المنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، يختلف عنه في مجال الطبيعيات، ففي مجال الطبيعيات يمكننا تبسيط الظاهرة والقدرة على عزلها تماماً عن المؤثرات الخارجية، أما الظواهر الاجتماعية والإنسانية فالأمر يختلف تماماً، فهي ظواهر معقدة جداً إضافة إلى صعوبة عزلها صناعياً عند إجراء التجربة، إضافة إلى صحة التنبؤ في الأبحاث الطبيعية، عكس التنبؤ في الأبحاث الإنسانية والاجتماعية، ذلك ان الإحداث الاجتماعية لا تتكرر بنفس الطريقة، ونفس الدرجة.

وقد أدى استخدام المنهج العلمي في الدراسات الانثروبولوجية إلى ظهور بعض القضايا المنهجية، ومن ابرز هذه القضايا استخدام مصطلح الضبط، والتجريب، ويرى بعض المفكرين ان استخدام مصطلح الضبط في الدراسات الانثروبولوجية يجعل من الانثروبولوجيا علماً، بينما رفض البعض الآخر استخدام هذين المصطلحين على أساس ان هذا الموضوع يعتبر ذا أهمية بسيطة في الدراسات الانثروبولوجية، نتج عن اهتمام الانثروبولوجيين بالمشكلات المنهجية، وخصوصاً هؤلاء الذين يؤيدون العلاقة بين الانثروبولوجيا والعلوم الطبيعية، وكذلك يفضلون استخدام التكميم والاختبارات الموضوعية والتجريب، بالإضافة إلى تطوير

وتحسين الأدوات التكنيكية التي تؤدي إلى التنبؤ والموضوعية في جمع المادة، وكتابة التقرير، وتفسير المادة التي يحصل عليها الباحثون من الدراسات الميدانية. اما الفريق الآخر من العلماء الذين لا يؤيدون فكرة العلاقة بين الانثروبولوجيا والعلوم الطبيعية، فأنهم يركزون على أهمية العلاقة بين الانثروبولوجيا والإنسانيات، ويؤكدون على استخدام الإدراك والتبصر والحدس، وعنصر الفن بالإضافة إلى إنهم اقل تفاؤلاً حول إسهام التكميم في الانثروبولوجيا^(٧).

٢. منهج الفهم الذاتي عند الانثربولوجيين:

ان منهج الفهم الذاتي Ethno Science في الفكر الانثربولوجي يهدف للتوصل إلى الطريقة التي ينظم بها الأفراد ثقافتهم وطريقتهم في استخدام هذه الثقافة، ويندرج الفهم الذاتي في الفكر الانثربولوجي تحت مسمى المدخل المعرفي، ويسعى هذا المدخل إلى فهم تصورات الفرد عن العالم والمحيط الذي يحيا فيه، وكيفية تشكل هذه التصورات، ومن خلال المدخل المعرفي فالأفراد الذين لهم ثقافة واحدة مشتركة، بالضرورة لهم نسق معرفي موحد، يعمل على تنظيم مشاعر وسلوك الأفراد، ويسعى الباحث الانثربولوجي من خلال المدخل المعرفي إلى محاولة معرفة تصنيف الأفراد، وكيف يقومون بهذا التصنيف، وكيف يستدل الباحث الانثربولوجي على العمليات العقلية؟ غير ان الإشكال المطروح أمام الباحث الانثربولوجي هو اختلاف مشاهداته وإدراكه الجوانب من الثقافة مع مشاهدات وإدراك أصحاب الثقافة ذاتها، حيث يتولد عنه في الأخير مجموعة من التصورات والتمثلات والأحكام، والتي تختلف عن تلك التي لاحظها الباحث الانثربولوجي.

ويمكننا ان نعتبر المدخل المعرفي في دراسة الثقافة احد اتجاهين رئيسيين يحاولان الان السيطرة على التفكير الانثربولوجي المعاصر واقتسامه فيما بينهما، ويتصدر هذان الاتجاهان النقد الموجة للمدرسة الانثروبولوجية الاجتماعية التي حملت لواء الفكر الانثربولوجي خلال النصف الأول من القرن العشرين وخاصة في بريطانيا، ونعني بها مدرسة البناء الاجتماعي والتحليل الوظيفي، التي أرسى قواعدها

كل من راد كليف براون ومالينوفسكي، ويستند هذا النقد على ان التفسيرات البنائية للمجتمع تفسيرات استاتيكية، ولا يعترف بالقوى المتعارضة والمتصارعة داخل البناء الاجتماعي، وتحاول ان ترد كل شي إلى فكرة التوازن، كما تتجاهل المدرسة البنائية العلاقات الاجتماعية الواقعية، وتهتم فقط بالعموميات ومعنى ذلك انها لا تهتم بالواقع المتغير أو بعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، ويفهم من ذلك ان ما يصفه العلماء البنائيون ليس هو الواقع، وإنما هو شي متخيل ومتصور وليس له وجود خارج أذهانهم، وان ما يقدمونه للقارئ هو مجتمع من صنفهم هم أنفسهم ولا علاقة له بالحقبة الواقعية، ومرد ذلك إلى إخفاق البنائيين في سبر غور أذهان أفراد المجتمع الذي يقومون بدراسته وإغفالهم التعرف على نظرة هؤلاء الأفراد أنفسهم إلى المجتمع وإلى الثقافة التي يعيشون فيها^(٨).

٣. المنهج الوصفي

يقوم المنهج الوصفي على تصوير الواقع الاجتماعي، والسعي لإبراز العلاقات التي توجد بين الظواهر والاتجاهات المختلفة وباستكمال هذين المرحلتين البحثيتين (الوصف، وإبراز العلاقات) ينتقل الباحث إلى خطوة أخرى يحاول فيها وضع تنبؤات عن الحالات التي ستؤول إليها الظواهر.

ولا ينبغي ان يتبادر إلى أذهاننا، ان استخدام المنهج الوصفي يقوم على توظيف واستخدام الملاحظة بطريقة سطحية أو عرضية، بل العكس فالباحثون يقومون بما يلي:

- التدقيق في فحص المواقف والاتجاهات التي تبدو للباحث انها تشكل ظواهر أو مشكلات.
- تحديد المشكلة وصياغة مجموعة الفروض المتعلقة بها.
- تنظيم الفروض.
- إيجاد نوع العينة، المناسب للبحث.
- تحديد طرق وأساليب جمع المعطيات الميدانية.

- انتقاء الأدوات البحثية المناسبة (الدقيقة، والصادقة) لجمع المعطيات من الواقع، والتوصل فيما بعد إلى النتائج المرجوة.
- القيام بإجراء الملاحظة "المنظمة والدقيقة".
- وصف نتائج الملاحظة بدقة.
- تحليل المعطيات وضبط النتائج، وكتابتها في تقرير علمي واف.
- عموما يمكننا القول ان البحث الوصفي في مجال العلوم الاجتماعية مرحلتين
 - مرحلة البحث الوصفي: هذه المرحلة يقوم فيها الباحث باكتشاف الظواهر والسعي لجمع المعلومات الضرورية عنها، ومحاولة إبرازها وتوضيحها.
 - مرحلة التفسير: يقوم الباحث بعد الانتهاء من مرحلة الوصف بالانتقال إلى مرحلة التفسير، ويسعى الباحث في هذه المرحلة إلى استخلاص التعميمات حول الظاهرة المدروسة، وهناك نوعان للبحوث الوصفية:
 - أ. المسح الاجتماعي، ب. دراسة الحالة.
- من خلال ما سبق لا يظهر ان المنهج الوصفي في المجال البحثي، هو مجرد عملية وصفية، لما نرصده بحواسنا بل على العكس، فإضافة إلى ذلك يتضمن المنهج الوصفي التوصل إلى معرفة الأسباب وأهم النتائج المترتبة عنها، كما يساعدنا المنهج الوصفي من خلال عملية الوصف والتشخيص للواقع، إلى السعي لإيجاد السبل المناسبة لتطوير الوضع نحو الأحسن.

٤. المنهج المقارن:

ان الباحث في المجال الثقافي لا ينبغي له ان يتوقف، عند حدود عملية التحليل، بل لابد من ان يتعدى الدراسة التحليلية لأنماط الثقافية، باستخدام المنهج المقارن، والفائدة العلمية المتوخاة من تطبيق المنهج المقارن، هي محاولة ربط التحليل الثقافي بعقد المقارنات العلمية بين شتى أشكال التكيف الإنساني التي نشاهدها في مختلف الثقافات والحضارات، فمن خلال المنهج المقارن يمكننا ان نحيط بالظاهرة موضوع الدراسة.

وعلى هذا الأساس كما يذكر احد الباحثين: "ان تطبيق المنهج المقارن، يقتضي منا تجنب المقارنات السطحية، والتعرض لجوانب أكثر عمقا لفحص وكشف طبيعة الواقع الثقافي، من خلال عقد المقارنات الجادة والعلمية بين شتى الثقافات، وكثيراً ما يستخدم أصحاب الاتجاه الثقافي، من مختلف المصطلحات الفنية، مثل (السمات الثقافية) "المركبات الثقافية"، "الدائرة الثقافية"، وذلك للتوصل إلى تحقيق دراسة أوفى وأدق في ميدان المقارنة والتصنيف^(٩).

ان المقصود بالمنهج المقارن، هو دراسة توزيع الظواهر الاجتماعية، أو الظواهر الثقافية، أو أنماط من مجتمعات معينة أو حتى إجراء المقارنة بين مجتمعات بأكملها، أو رصد الاستمرار والتطور، أو التغير الذي يطرأ على النظم الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية.

وينظر مجموعة من المفكرين نذكر منهم: "عالم الاجتماع الفرنسي إميل دور كايم" إلى المنهج المقارن على انه طريقة التلازم في التغير أو الارتباط بين ظاهرتين اجتماعيتين، وينظر "سبنسر" إلى المنهج المقارن على أساس انه رصد وجمع لأوصاف نظام محدد، في مجتمعات مختلفة، وفي الأخيرة يكون الهدف المنتظر هو التوصل إلى قوانين التطور الاجتماعي.

اما مجالات البحث المقارن فهي متعددة وكثيرة نذكر منها:

- الدراسات والبحوث المتعلقة بالثقافة والشخصية، وذلك بإجراء دراسة مقارنة حول نمو وتطور الاتجاهات السيكولوجية والسسيولوجية، وكذلك تطور أنماط الشخصية.
- دراسة الأنماط الرئيسية للسلوك الاجتماعي وذلك من خلال تحديد أوجه الشبه وأوجه الاختلاف.
- إجراء دراسة مقارنة بين النظم الاجتماعية، ودراسة الأنساق الثقافية، ثم دراسة الجماعة الرئيسية في المجتمع والتركيز على دراسة عمليات التغير التي أصابت النظم الاجتماعية.

- إجراء دراسة مقارنة لنماذج من التنظيمات الحديثة، كالتنظيمات السياسية، أو التنظيمات الصناعية.... في مجتمعات مختلفة.
 - إجراء دراسة مقارنة، من خلال تحليل مجتمعات كلية.
- وقد نشأ المنهج المقارن في مجال الانثروبولوجيا، عندما قام الباحثون الانثروبولوجيون بإجراء مقارنة بين المجتمعات البدائية والمجتمعات المعاصرة، والهدف من ذلك هو إبراز الفرق بينهما من حيث مجال النظم الاجتماعية، وكذلك إبراز اثر البيئة الاجتماعية والطبيعية في تكون بناء المجتمع وثقافته، وقد بدأت الدراسة المقارنة نظرية كلية، ثم فيما بعد صار إجراء الدراسة المقارنة بالاعتماد على الدراسة الحقلية.

٥. المنهج الاثنوغرافي:

ان اعتماد انثروبولوجيو القرن التاسع عشر على المنهج المقارن للقيام بالدراسات الانثروبولوجية، قد إنتابه بعض القصور، فلم يعد المنهج العلمي الأمثل، فالمقارنة التي أجراها الانثروبولوجيون في ذلك الوقت كانت تقوم على القراءات الواسعة، ومحاولة جمع المعلومة من هنا وهناك، خاصة ما ورد في كتب الرحالة، والمبشرين والحكام العسكريين بالمستعمرات، مما جعل من دراساتهم وأبحاثهم تتصف بالسطحية وقلة الضبط المنهجي وكمثال على ذلك، ما شاع حول الرجل البدائي، فهناك من وصفه بـ(المتوحش) وآخر وصفه بالإنسان الهمجي، فريق ثالث أطلق عليه اسم الفرد الاجتماعي، ان المقارنة في الدراسات الأكاديمية، إذا أردنا ان تكون علمية وصحيحة، فلا بد من الاعتماد على ما هو كائن في الميدان البحثي، وملاحظة مكوناته، وبذلك نستطيع تحديد وتصنيف ما هو مشترك من الملامح بين المجتمعات، وغير المشترك.

وهذا الذي دفع الانثروبولوجيين فيما بعد للقيام بدراسات اثنوغرافية، وذلك بنزولهم وتنقلهم إلى ميدان الدراسة، والاتصال بالأفراد هناك، والإقامة بينهم لمدة قد تطول حسب الغرض من البحث، وفي هذا المجال يرى "إيفانز بريتشارد" انه يجب

على الباحث الانثروبولوجي، ان لا تقل مدة إقامته في مجتمع البحث عن سنة كاملة، وذلك لتعلم اللغة المحلية حتى إجادتها، وكذلك تمثل الأنماط والشعائر والطقوس في ذلك المجتمع.

فالمبشر - حسب ايفانز بريتشارد - الذي يريد تحويل احد الشعوب البدائية إلى المسيحية يحتاج إلى ان يكون على شي من المعرفة بنفس معتقداتهم وممارستهم الدينية، والا استحال عليه أداء المهمة، فنجاح العملية التبشيرية مرهون باستخدام لغة الأهالي ذاتها، أي وفق مفهوماتهم وتصوراتهم^(١٠).

وتطورت الدراسات الانثوغرافية فيما بعد، وأصبحت تعتمد على منهجية البحث الحقلية، وبرز مجموعة من الرواد الانثروبولوجيين، واجروا مجموعة من الدراسات الانثوغرافية - حقلية - فقام "راد كليف براون Radcliffe- Broun" بدراسة ميدانية في "جزر الاندمان" سنة ١٩٠٦، ودامت فترة دراسته الحقلية سنتين، وتقع جزر الاندمان في شمال المحيط الهندي وكانت دراسته امتحان لجملة النظريات الانثروبولوجية، اختبار صحتها بواسطة دراسة ميدانية في مجتمع بدائي، كما برز كذلك في مجال الدراسات الانثوغرافية الحقلية "مالينوفسكي" حيث قام بدراسة ميدانية كانت مدتها أربع سنوات (١٩١٤-١٩١٨) وكانت دراسة لجزر "التروبرياند" Trobriand التي تقع في ماليزيا، وكان مالينوفسكي أول من استخدم في دراسته لغة الأهالي أنفسهم، وعاش بينهم مدة أربع سنوات حيث تقمص نظمهم وطقوسهم وشعائهم الخاصة، وتوجت دراسته بالتوصل إلى نظام التبادل المعروف باسم "الكولا" واستخدم في دراسته المنهج الانثوغرافي التكاملي حيث قام بدراسة شاملة لسائر النظم الاجتماعية التي لها علاقة اتصال بنظام "الكولا".

ثم جاء من بعده تلميذه "ايفانز بريتشارد" وقام بدراسة انثوغرافية لثلاث مجتمعات مختلفة فيما بينها فدرس مجتمع "الازاندي" Aazade، الذي ينتمي إلى مجموعة الشعوب السورانية وهو مجتمع يعيش على الالتقاط مع بعض الزراعة البسيطة، ومجتمع "النوير Nuer" وينتمي هذا المجتمع إلى الشعوب النيلية بجنوب

السودان والمجتمع الثالث هو مجتمع بدوي ببرقة، وهذا الأخير يختلف عن النوير في اللغة، والديانة، والعادات، والتقاليد.

وتعتمد الدراسات الانثوغرافية، على الملاحظة العلمية، وتخضع الملاحظة الانثوغرافية إلى شكلين أساسيين:

- المونوغرافيا "الطريقة المباشرة": وظفها اغلب الانثروبولوجيون عند دراسة المجتمعات البدائية خاصة لما ركزوا في دراستهم على "العرق، السلالة، أصول الثقافة، الطقوس، العادات، الشعائر".
- الطريقة غير المباشرة: هي عكس الطريقة الأولى، فإذا كان الباحث في الأولى يقوم بالاندماج في مجتمع البحث، ففي الطريقة الثانية يعتمد الباحث على مؤلفات من سبقت لهم دراسة ذلك المجتمع، والاعتماد على ملاحظات الرحالة أي: اعتماد الباحث على مؤلفات من سبقت لهم دراسة ذلك المجتمع، والاعتماد على ملاحظات الرحالة أي اعتماد الباحث على مصادر وثائقية تتعلق بذلك المجتمع.

المبحث الثاني طرائق البحث الانثروبولوجي لدراسة المجتمع

ان الدراسات الانثروبولوجية غالباً ما تتميز بانفرادها وتركيزها على دراسة مجتمعات محلية مصغرة، وطريقة دراسة المجتمع المحلي، هي طريقة لدراسة السلوك الإنساني، بالتركيز على تحليل مجتمع محلي بالذات، وهي تمثل في الواقع تطبيقاً لطريقة دراسة الحالة على احد المجتمعات، فتسهم بدراسة الخصائص الجغرافية والايكولوجية، والتاريخية لهذا المجتمع، مثل اهتمامها بدراسة التنظيم الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والعمليات الاجتماعية النفسية، وتكمن أهمية هذه الطريقة في أنها تعتمد على فحص السلوك والاتجاهات في صورتها الطبيعية في إطار السياق الكلي للتفاعل الاجتماعي^(١١).

وقد قام الجيل الثاني من الانثروبولوجيين الذين تتلمذوا على الرعيل الأول من علماء الانثروبولوجيا بدراسات عقلية في كثير من المجتمعات الأوروبية والإفريقية والأسبوية الريفية، والصناعية الحديثة، كما اتبعوا في دراساتهم طرقاً جديدة زاجوا فيها بين طريقة الملاحظة بالمشاركة التي تعتمد على الإقامة الطويلة والمعيشة في المجتمع، وطريقة دراسة حياة الأفراد، كما اعتمدوا في تحقيق فروضهم على الدراسات الكمية التي كان ينفر منها الباحثون الأوائل، ومن هذا الفريق من الكتاب أو الباحثين "Oscar Lewis" أستاذ الانثروبولوجيا بجامعة الينوس بأمريكا، وقد حاول في إحدى كتبه ان يتعمق في فهم المجتمع عن طريق دراسة حالة الأسرة، وتتبع تاريخ حياة أفرادها كما يروونه بأنفسهم^(١٢).

ويتلخص المنهج الذي اتبعه المؤلف في تلك الدراسة في المزوجة بين الطرق التقليدية المستخدمة في البحوث السوسيولوجية، و الانثروبولوجية، والسيكولوجية وهي تتضمن الاستبيانات والمقابلات والملاحظة بالمشاركة، وتسجيل تاريخ الحياة وعدد من الدراسات الكلية الشاملة المركزة لحالات بعض الأسر، كما اعتمد على بعض

طرق علم النفس مثل اختبار توافق رد الفعل الرجعي والاختبار الاسقاطي المعروف باختبار - رورشاخ - واختبار تكملة الجمل^(١٣). وهنا سنقوم بعرض أهم الطرق التي يعتمد عليها الباحث الانثروبولوجي في الميدان عند إجراء دراسته.

١. طريقة الملاحظة بالمشاركة:

طريقة يعتمد عليها الباحثون الانثروبولوجيون باعتبارها الطريقة المثلى للحصول على المعلومات والبيانات التي تساعد على فهم الظواهر وتحقيق الفروض التي يضعها هؤلاء لتفسير تلك الظواهر التي يتوفرون على دراستها، وتتخلص عملية الملاحظة بالمشاركة في محاولة الباحث الاشتراك في الأنشطة الاجتماعية المتنوعة التي يقوم بها أعضاء الزمرة الاجتماعية أو الجماعة موضوع الدراسة، بقدر ما تسمح الظروف والتقاليد، فمن خلال المشاركة في مناسبات الزواج والوفاة والميلاد والذهاب إلى السوق والتردد على مجلس كبار السن والزعماء المحليين وزيارة منتديات الشبان ووحدات الإنتاج، يستطيع الباحث الانثروبولوجي ان يحصل على الكثير من المعلومات الحقيقية عن العلاقات القرابية والاقتصادية والسياسية في المجتمع موضوع الدراسة^(١٤).

تعتبر الملاحظة بالمشاركة الوسيلة الأساسية في العمل الحقل، وكثيرا ما يعول عليها الباحث في اختيار البيانات التي يستخلصها بواسطة بعض الوسائل الأخرى، وهي ليست عملية ميسرة بل يمكن ان تتعرض للقصور بتأثير الأفكار المسبقة لدى الباحث، أو اتجاهاته الخاصة بالنسبة لرؤيته للآخرين، أو ميله إلى إضفاء تأويلات متسرعة على كل ما يلاحظ، أو عدم اهتمامه بالربط بين ما يلاحظ وبين السياقات المكانية والزمانية التي تتم في إطارها.

ومصطلح الملاحظة بالمشاركة يتضمن فكرتين أقام عليهما بعض الباحثين موقفاً ذا طرفين احدهما يمثل الاندماج في المشاركة والثاني يمثل التركيز على الملاحظة والمهم ان هذا التقابل بين المشاركة الخالصة وبين الملاحظة الخالصة يشابه التقابل بين موقفي الاستغراق والانفصال اللذين يشار إليهما في الدراسة الحقلية

الانثروبولوجية كعملية ضرورية يقوم بها الباحث حتى يتمكن من فهم ما حوله وتسجيل ملاحظاته وتحليلاته عليه بعد ذلك^(١٥).

٢. الطريقة الجينالوجية:

كان "ريفرز" قد وضع أسس هذه الطريقة وهو يعمل ضمن بعثة جامعة كمبردج عام ١٨٩٨م وهي تقوم على أساس تتبع العلاقات بين الإخباري وسائر المرتبطين به قرابياً وتسجيل ما يراه من بيانات تشمل الأسماء والأنواع وتواريخ الميلاد والزواج والطلاق والوفاة والإقامة وأنواع الروابط الزوجية، والعمل وغير ذلك من البيانات التي تفيد موضوع الدراسة، ويقوم الباحث باستخلاص هذه المعلومات في مذكراته خلال العمل الحقل، ثم يقوم بعد ذلك بتفريغها في أية صورة تساعد على فهم العلاقات وإلقاء الضوء على التنظيم الاجتماعي القائم، وعندما توضح هذه البيانات في صورة تخطيط هندسي تعبر تعبيراً سريعاً وواضحاً عن العلاقات والارتباطات وينبغي ان ينتبه الباحث منذ البداية إلى أهمية الحرص على تفهم معاني المصطلحات من وجهة نظر الأهالي بمعنى الأبوة الاجتماعية والبيولوجية ومعنى البنية المستمدة من الميلاد أو الرضاعة أو التبني أو غيرها، وكذلك طريقتهم في تقدير الأعمار وحساب التواريخ^(١٦).

٣. طريقة تاريخ الحياة:

لقد حدد "دولارد" في "محاكات تاريخ الحياة" عدداً من القواعد لجمع واستخدام الوثائق الشخصية ذات الطابع السيري. فلقد دعا إلى تركيز الانتباه على الطريقة التي يربى بها الطفل، خصوصاً في مرحلة بداية الحياة، حيث تتم التربية في كل اللحظات، وعلى دور العائلة المتغيرة للمجتمعات وعلى تجربة الفرد مع تناولها باستمراريتها منذ الطفولة وحتى سن البلوغ، وعلى الوضعية الاجتماعية التي تجري التربية فيها، مثلما تظهر عليه موضوعياً بالطبع، ولكن أيضاً مثلما تبدو عليه هذه الوضعية بالنسبة للمعني بها نفسه.

لقد نالت تواريخ الحياة، من سير ذاتية، بالإضافة عموماً إلى كل الوثائق التي تسمى ببيانية من رسائل وصحف حميمة، وتقارير حول حياة مجموعات إنسانية صغيرة مكتوبة من قبل احد أعضائها، أهمية من الدرجة الأولى في الانثروبولوجيا الأمريكية، والقصد من هذه الطريقة هو توفير الفرصة لجعل كيان ما حياته وتطوره ومصيره، مفهوماً وحيّاً، فالوقائع الإنسانية تدرج دوماً في وجود زمني، ولا يمكن ان تفهم الا بالرجوع إلى مصير خاص، لذا يبدو من المناسب عرض الحياة بتعابير ذات دلالة بالنسبة لأولئك الذين عاشوها^(١٧).

٤. طريقة الحالة الفرضية:

تقوم هذه الطريقة على بناء افتراضات حول عناصر الظاهرة، اجتماعية، ثقافية ويسعى البحث إلى إثباتها والتحقق منها، حيث لا تظهر جماعة ما هذه العناصر الا في حوادث أو حالات معينة، وبناء على ذلك تسعى هذه الطريقة إلى فصل حالات في حياة الناس تبعاً لأشخاص وعلاقات وحوادث فرضية تتفق مع النماذج السائدة في ثقافة الجماعة، والتي يستخدمها الباحث لإدارة المناقشات وتوجيهها، مع أفراد الجماعة الموضوعية تحت الدراسة، ولذلك فعندما تكون الحوادث مصطبغة بمعنى غيبي سحري مشؤوم، مثل الولادة أو عندما تتضمن المسائل الاقتصادية وقائع لا يريد الفرد ان يكشف عنها اذا كانت تعنيه أو تعني شخصا آخر يمكن ان تجري المناقشة تجربة اذا لم يكن الشخص المعني موجوداً^(١٨).

٥. الطرق الإسقاطية:

وهي وسيلة للتوصل إلى الدوافع والاتجاهات الكامنة لدى الإخباريين، والتي لا يتم الكشف عنها من خلال الملاحظة والمقابلة، وحتى لو أراد الإخباري الكشف عنها فانه لا يستطيع ان يعبر عنها بسهولة ولهذا فان الباحث يرتب له بعض المواقف التي يتحدث خلالها بتلقائية تعكس حالته الداخلية، وقد استخدم "فرويد" اصطلاح الإسقاط Projection كوسيلة من وسائل الدفاع تحاول الذات من خلالها

إضفاء دوافعها ومشاعرها على الأشخاص الآخرين أو الأشياء الأخرى ومن ثم تبقى بعيدة عن المستوى الشعوري وعالج كثير من علماء التحليل النفسي، هذه الفكرة في كتاباتهم موضحين ان إدراك الإنسان لمحتويات العالم الخارجي، لابد ان تتأثر بإدراكاته السابقة ومشاعره واتجاهاته نحو الشخص الذي ينظر اليه، وعلى هذا الأساس، ابتكر العلماء عددا من الاختبارات التي تتيح الكشف عن نوعية استجابات الفرد للمؤثرات التي يراها إمامه، وهي لا تهتم بما اذا كانت هذه الاستجابات صائبة ام خاطئة لان المهم هو كيفية رؤية الشخص لهذه المؤثرات وتفسيره لها، وكمثال على الاختبارات الاسقاطية، اختبار بقع اكبر "لرورشاخ"^(١٩).

٦. المقابلة:

ان الدافع لاستخدام المقابلة، إنشاء إجراء البحث الانثروبولوجي الميداني، هو السعي لمعرفة وجهة نظر أفراد مجتمع الدراسة، وأسلوبهم المتميز في النظر للأشياء والكائنات، ولن يتأتى هذا الا باستخدام طريقة الحوار، والمقابلة كما نعلم نوعان: مقابلة موجهة ومقابلة غير موجهة، وينصح المختصين في مجال الانثروبولوجيا باعتماد النوع الثاني من المقابلة، وذلك لأنه يعطي الحرية الكاملة والارتياح النفسي للشخص الذي تجري معه المقابلة (المبحوث) للإدلاء بآرائه حول الموضوعات المستفسر عنها.

وخلال المقابلة يتلخص موقف الباحث في ان يكون مستمعاً وملاحظاً، فهو يستمع لكل كلمة تقال وفي الوقت نفسه يلاحظ كل الإيماءات والايجازات وحركات الأيدي وباقي أعضاء الجسم خلال الحديث، والاستماع يعني الا يوجه الباحث أفكار الإخباري بل يساعده فقط على ان يعبر عنها بالصورة التي تفيد الدراسة، فينتبه جيدا إلى ما يقول، وعندما يتوقف يساعده على الاسترسال بإعادة آخر جملة ذكرها في صيغة سؤال، أو إثارة سؤال حول آخر ملاحظة أبدأها، أو الربط بين الملاحظة الأخيرة وملاحظة واقعة أخرى سابقة، أو إدخال عنصر جديد في المناقشة ليكون نقطة انطلاق جديدة لمزيد من الأسئلة، وفي كل هذه الحالات ينبغي ان تظل

المناقشة تحت سيطرة الباحث دون ان يشعر الإخباري بذلك^(٢٠). والمقابلة كما ذكرت نوعان:

أ. المقابلة الموجهة:

هي عكس المقابلة الحرة، ففي هذه الحالة يقوم الباحث بإعداد استمارة تحتوي على مجموعة من الأسئلة توضع غالباً بدقة محكمة ومضبوطة، حول الموضوع أو الظاهرة التي نريد دراستها، وبعد ملأ الاستمارات من طرف أفراد العينة المحددة، يسترجعها الباحث، ليقوم بتفريغها، وقليلاً ما تستخدم المقابلة الموجهة في الدراسات الانثربولوجية، الا اذا اجري البحث الانثربولوجي في مجتمع متطور او متمدن، خصوصاً وان الانثربولوجيا في وقتنا الحالي صار مجال اهتمامها أيضاً المجتمعات الصناعية أو المجتمعات الحضرية، وسيظل استخدام المقابلة الموجهة، أو إعداد استمارة أثناء دراسة مجتمعات بدائية، أو قروية غير مجدي لان ذلك يكون مثار شكوك وقلق من طرف الأهالي تجاه الباحث الذي ينظر إليه على انه غريب، وبالتالي فالأنسب في مثل هذه المجتمعات هو الاعتماد على المقابلة غير الموجهة.

ب. المقابلة غير الموجهة:

المقصود بالمقابلة غير الموجهة، أو المقابلة الحرة، هي ان يعتمد الباحث للاتصال بإفراد، غالباً ما يتمتعون بشان ومكانة داخل الجماعة، حيث يمتلكون رصيذاً هائلاً من الإخبار والمعلومات سيما ما تعلق منها بالبناء الثقافي، والبناء الاجتماعي للمجتمع، ويقوم الباحث بتوجيه أسئلة متنوعة لهؤلاء الإخباريين ويترك لهم حرية الإجابة، فيسترسلون في الكلام، وعلى الباحث ان لا يقوم بتوجيه إجاباتهم وجهة معينة وفي هذه الحالة على الباحث ان يقوم بتسجيل جملة الإجابات.

٧. الاعتماد على الإخباريون:

الإخباريون هم الأشخاص العارفون بـ"النشاط"، أو "الحدث"، أو "القضية" موضوع البحث، بمعنى ان الباحث الانثربولوجي، اذا أراد مثلاً ان يقوم بجمع مادة علمية حول "التنشئة الاجتماعية للأبناء" فعليه في هذه الحالة ان يسأل الإباء عن أساليب تعاملهم مع الأبناء من الجنسين من حيث التوجه والمراقبة والنصح والعقاب

والتدريب، كما ان عليه ان يسال أيضاً المشتغلين بالتربية والتعليم والتقويم ويسال الأجداد حول رؤيتهم لطرق التربية المعاصرة، كما يسال الأبناء في رؤيتهم للمعاملة التي يلقونها داخل الأسرة^(٢١).

وتحديد فئة الإخباريين من قبل الباحث، يرجع بدرجة كبيرة، إلى نوعية الدراسة أو البحث، فإذا كانت الدراسة حول ظاهرة النزاعات والصراعات بالطرق العرفية، فالباحث في هذه الحالة يتصل برؤساء القبائل والأعيان، والأفراد العارفون الذي يعود إليهم في فض النزاعات والخصومات الأهلية، ولا بد على الباحث الانثروبولوجي ان يعمق صلاته بفئة الإخباريين ويا حبذا الوصول معهم إلى درجة الألفة والثقة، كي يحصل منهم على المعلومات المفيدة والكافية، التي تخص موضوع البحث أو الدراسة، ويمكن للباحث لتعميق الصلة بالإخباريين ان يقدم لهم بعض الهدايا أو الخدمات، دون ان يجعل ذلك ثمناً أو مقابلاً للمعلومات التي تقدم له.

المبحث الثالث

العلاقة بين منهج البحث وطريقة البحث

ان من أهم مواصفات الدراسة الانثروبولوجية انها دراسة تكاملية وشاملة، أي انها نظرة شاملة للنظم والظواهر الاجتماعية، وذلك في ارتباطها بالمناخ الاجتماعي من جهة، وبالجانب الايكولوجي أو البيئي من جهة ثانية، وعموماً فالحقائق الانثروبولوجية تفسر من خلال ترابط عناصرها ومكوناتها بعضها ببعض، وقد كان تطور وتعدد المناهج في مجال الانثروبولوجيا استلزماً لتطور مجالات الانثروبولوجية وموضوعاتها واهتماماتها البحثية ومدى الاستفادة المرجوة من وراء ذلك، فمن حيث مجال الدراسات الانثروبولوجية، فنجد اهتماماً بتطور الإنسان من الناحية الفيزيائية، ومن جهة أخرى دراسة حياته الاجتماعية والثقافية مما يجعل الاعتماد على المنهج التجريبي في الأولى، واعتماد المنهج الوصفي أو المنهج المقارن في الأخرى.

وبإطلالة تاريخية حول تطور الانثروبولوجيا فنجدها قد بدأت من خلال انجاز بحوث أو دراسات مونوغرافية "وصفية" حيث كان يقوم الزائر الهاوي أو الرحالة أو حتى الباحث المختص فيما بعد بمجهود تجميعي ووصفي لحياة جماعة بشرية مصغرة، وذلك من خلال الكتابة عن أثنياتها وعاداتها وتقاليدها، ولباسها ونمط مسكنها... ثم تطورت الأبحاث الانثروبولوجية شيئاً فشيئاً إلى بحوث مقارنة بين الجماعات والثقافات الإنسانية بغية تحديد مراكز الإبداع الثقافي الأولى، أو من اجل اكتشاف مدى التشابه بين الثقافات، ومحاولة تفسير ذلك، ثم تطورت مناهج البحث الانثروبولوجية، حتى صارت تستخدم المناهج الإحصائية، وتساير جملة المبتكرات العلمية في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية.

وهناك فكرة هامة لابد من الإشارة إليها، وفحواها انه لا يمكن في علم الإنسان الفصل بين النظرية والجانب الميداني، فالباحث يختار المنهج النظري، مما يسهل عليه تحديد فروضه العلمية التي تكون بمثابة المنطلق نحو تجميع المعلومات الاثنوغرافية المناسبة، وبعد عملية الجمع، يقوم الباحث بتحليل وتفسير المعطيات الميدانية التي قام بجمعها، وفي كل هذا على الباحث بعد ان يلم ويحدد موضوع ومنهج البحث، والنظرية المتعلقة بذلك، عليه ان يتحلى بالموضوعية، فهذه الأخيرة هي جوهر العلم.

فلا يمكن للباحث الانثروبولوجي، قبل ذهابه إلى الميدان، ان يكون في رصيده مجموعة من الإحكام المسبقة، عن مجتمع الدراسة، كأن يحكم عليهم بالهمجية أو التخلف، وما شابه ذلك من أحكام، ففي هذه الحالة يبتعد الباحث عن الحقيقة العلمية، ويظل مجهوده كاملاً مركزاً نحو إثبات وإبراز الأحكام المسبقة وبالتالي يكون بحثه خالياً من الموضوعية.

هناك من الباحثين من يرى ان هناك فرق جوهري بين مناهج البحث Methodologie، وطريقة البحث Methode، أو آلية البحث، فالأولى تعني عدة نهج متباينة السبل في استقصاء ودراسة الواقع، أي عدم اقتصارها على جمع المعلومات والبيانات، بل قياسها من خلال فرضيات تحتل البرهنة، أو الرفض لتصل في النهاية إلى نتائج تحلل حسب المنطق الذي تعتمد عليه، وقد يكون منطق تجريبي، أو بنائي، أو صراعي أو نفسي - اجتماعي، فتتمطه بنصوص نظرية تتناسب مع واقع الدراسة أي تحويل الواقع المدروس إلى تفاسير وتحاليل ذهنية مجردة، في حين تعني طريقة البحث أدوات جمع المعلومات والبيانات فقط خالية من الاحتمالات والتحاليل، والبرهنة، والتفاسير الذهنية المجردة^(٢٢).

إذا كانت مناهج البحث الانثروبولوجي تشير إلى أساليب المنهجية العامة التي يستخدمها الباحث للوصول في نهاية المطاف إلى النظرية أو القانون، فإن الطريقة الانثروبولوجية لدراسة المجتمع تعني تطبيق قواعد المنهج نفسه في دراسة مجتمع ما دراسة انثروبولوجية في زمان ومكان معينين، فإذا كان المنهج الاثنوغرافي يتحدث عن ضرورة جمع وتسجيل المادة الاثنوغرافية في مجتمع ما عن طريق الدراسة العلمية الموضوعية، فإن طريقة الملاحظة بالمشاركة، وتاريخ الحياة تعد من الطرق الانثروبولوجية التي يمكن ان يحصل منها الباحث على معلوماته الاثنوغرافية من الميدان تمهيداً لوضعها موضع التفسير والتحليل، والمقارنة والتأويل، وإذا كان المنهج المقارن منهجاً عاماً يستخدم في مجال الدراسات الانثروبولوجية، والسوسيولوجية، والتاريخية، والأدبية، فإن استخدام طريقة المقارنة في الدراسات الانثروبولوجية يعد جانباً تطبيقياً لهذا المنهج في مجال علم الإنسان^(٢٣).

الخاتمة

هناك فرق بين المنهج الانثربولوجي والطريقة الانثربولوجية، فاذا كان منهج البحث الانثربولوجي هو جملة الخطوات أو الأساليب التي يعتمد عليها الباحث إنشاء القيام ببحث علمي، ويكون هدفه في النهاية هو الوصول إلى نظرية أو قانون أو تعميم، فإن الطريقة الانثربولوجية تعني تطبيق قواعد المنهج الذي تم اختياره إنشاء القيام بدراسة مجتمع ما.

وإذا كانت مناهج البحث Methodologie، تعني عدة نهج متباينة السبل في استقصاء ودراسة الواقع، أي عدم اقتصارها على جمع المعلومات والبيانات فقط خالية من الاحتمالات والتحليل، والبرهنة والتفسير الذهنية المجردة. ونظراً لصعوبة التقييد بالموضوعية، في مجال العلوم الإنسانية، فغالباً ما ينساق الباحث دون شعور منه لأن يتحيز لايديولوجيته، أو إحكامه الشخصية، أو ينحاز في دراسته لسلالة دون سلالة أخرى ونظراً لهذا الأشكال الذي يقلل من قيمة النتائج المتوصل اليها إنشاء إجراء الأبحاث والدراسات، فقد حاول العديد من الانثربولوجيين ان يضعوا جملة من الضوابط رغبة منهم من اجل الوصول إلى تقنيين المنهج أثناء القيام بالدراسة الميدانية، وللقضاء على مشاكل البحث المطروحة في مجال الأبحاث الإنسانية والاجتماعية، انتهج الانثربولوجيون عدة طرق علمية موضوعية، من اجل التوصل إلى نتائج علمية سليمة^(٢٤).

(1) Andre, Lalande: Vocabulaire Technique critique de la philosophie, univers de France, Paris, p 293.

- (٢) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣، ص ٥٠.
- (٣) فتحية محمد ابراهيم وآخرون، مدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٢، ص ٧٩.
- (٤) احمد ابو زيد، بدايات الانثروبولوجيا العربية، مجلة العلوم الاجتماعية، مج ٢٨، العدد (١) الكويت، ربيع ٢٠٠٠، ص ١٩٢.
- (٥) محمد حسن غامري، المناهج الانثروبولوجية، المركز العربي للنشر والتوزيع، الاسكندرية، (د.ت)، ص ٢٥-٢٦.
- (٦) ايفانز بريتشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة احمد ابو زيد، الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر، ص ٨٥.
- (٧) محمد حسن غامري، المناهج الانثروبولوجية، مرجع سابق، ص ٣٥-٣٧.
- (٨) احمد ابو زيد، ماذا يحدث في علم الانسان، مجلة عالم الفكر، مج ٨، ع ١، وزارة الاعلام، الكويت، ١٩٧٧، ص ٢٤٦-٢٤٧.
- (٩) قباري محمد اسماعيل، مناهج البحث في علم الاجتماع، مواقف واتجاهات معاصرة، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ٢٦٦.
- (١٠) ايفانز بريتشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة احمد ابو زيد، منشأة المعارف، الاسكندرية، ص ١٦١.
- (١١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص ٧٥.
- (١٢) محمد عبده محجوب، لافيدا، أو الحياة، مجلة عالم الفكر، مج ١، ع ٢، الكويت، تموز، اب، ١٩٧٠، ص ٢٦٧-٢٦٨.
- (١٣) محمد عبده محجوب، لافيدا أو الحياة، مرجع سابق، ص ٢٦٩.
- (١٤) محمد عبده محجوب، لافيدا، أو الحياة، مرجع سابق، ص ٢٦٩-٢٧٠.
- (١٥) فتحية محمد ابراهيم وآخرون، مدخل إلى مناهج البحث في علم الانسان "الانثروبولوجيا"، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٩٨٨، ص ١٨٥.
- (16) Pierre Erny, Ethnologie de education, Presses universités de France, Paris. 1981.
- (١٧) فتحية محمد ابراهيم وآخرون، مدخل لدراسة الانثروبولوجيا المعرفية، مرجع سابق، ص ٢٠٣.
- (١٨) عيسى الشماس، المدخل إلى علم الانسان، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ص ٨٨.
- (١٩) فتحية محمد ابراهيم، المدخل إلى مناهج البحث في علم الانسان، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٩٢، ص ١٩٤.
- (٢٠) فتحية محمد ابراهيم وآخرون، نفس المرجع، ص ١٩١.
- (٢١) محمد عبده محجوب، طرق ومناهج البحث السوسيولوجي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٥٥-٥٦.

(٢٢) محمد عبده محجوب، طرق ومناهج البحث السوسيولوجي، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٥٥-٥٦.

(٢٣) معن خليل العمر، مناهج البحث في علم الاجتماع، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ٢٠٠٤، ص ٢٠.

(٢٤) زكي محمد اسماعيل، الانثروبولوجيا والفكر الاسلامي، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٢، ص ١٠٧.